المصدر: الوفد

التاريخ : ٢٠٠٠/٦/١

رد الاعتبار للسادات
كتاب جديد لسعد الدين ابراهيم

د. سعد الدين

رجال حول الرئيس!

جيهان السادات تتهم وزيرى الاقتصاد والداخلية بتضليل الرئيس بالمعلومات الكاذبة!

النبوي إسماعيل

د. فرخندة حسن

د. سهير القلماوي

النبوي إسماعيل أقنعه كذبا بأن الجميع يتآمرون عليه!

●فى صيف ٧٩ كان هذا الاجتماع الرباعى بين الرئيس السادات ونائبه حسنى مبارك ومنصور حسن وزير الإعلام ود. مصطفى خليل باستراحة المعمورة

لسنا في حاجة، الى جهد كبير، لكى نكتشف ،منذ الوهلة الأولى، ان السيدة جيهان السادات، كان لها الفضل الأول ،في هذا الكتاب.

أما الكتاب ،فهو ،رد الاعتبار للسادات، للدكتور سعد الدين إبراهيم ،الذى يريد أن يقول، في كتابه ،ان السادات كان على حق في أمور كثيرة، وانه كان أعمق رأيا ، وأبعد نظرا ،وأقدر حكما ،من أغلب الذين عارضوه فى تلك الأمور فى حياته وبعد مماته.

وقد أراد الدكتور سعد، أن يحيى المبدأ الذى يقول ،ان الرجوع الى الحق فضيلة، فبدأ بنفسه بعد أن راجعها طويلا ،ولم يجد حرجا فى أن يقول على الملأ، انه كان على خطأ وان السادات كان على حق.. كل الحق.

وقد أوردت الأسبوع الماضى ،طرفا من الحديث الذى دار بينه وبين السادات، يوم ٣١ أغسطس ٨١ فى استراحة الرئيس بالاسكندرية.. ومما قرأناه على لسان السادات خاصة فيما يتصل برؤيته للصراع العربى الإسرائيلى، يتبين لنا بوضوح كامل، كم كان الرجل ثاقب الرؤية وكم كان قادرا على أن يرى ويصف، ما يجرى - اليوم - على أرض الواقع، وكأنه معنا وبيننا يصف شيئا يراه أمامه وتحت عينيه!! مع انه كان يتحدث - وقتها - عن أشياء بينه وبينها عشرون عاما!!

ومن الواضح ان الهدف من وراء ذلك اللقاء كان هو استغلال العلاقة الوثيقة للدكتور سعد بأغلب المثقفين العرب، لعقد اجتماع بينهم وبين السادات الذى فاتح ضيفه - أى الدكتور سعد - فى الموضوع ثم تولت جيهان السادات التأكيد على الفكرة وألحت فى سرعة الاتصال بهؤلاء المثقفين ،ليكون لقاؤهم مع السادات فى أقرب وقت متاح.

واللافت للنظر ، ان السادات قد سأل يومها عن أسماء بعينها ، وطلب ان يكونوا على راس الحاضرين، وممن سأل عنهم تحديدا الدكاترة: خير الدين حسيب، وقسطنطين زريق، ومجيد خدورى ،ووليد الخالدى.

ومما اقترحه الدكتور سعد على الرئيس السادات - يومها - أن يسبق اجتماعه مع المثقفين العرب، لقاء مماثل مع المثقفين المصريين، على اعتبار انهم أولى وأقرب، فوافق الرئيس على الفور، ولم يمانع .. وكان غرضه كما قال فى ذلك اليوم، أن يجلس معهم ويناقشهم، ليقنعهم.. أو ليقنعوه.

ولكن لا لقاء العرب ولا المصريين تم ،لأن أجواء سبتمبر ٨١ كانت قد تشكلت فى الأفق البعيد ، ثم عبأت الجو بعاصفة لم تلبث أن هبت برياح عاتية اقتلعت فى طريقها كل شئ.

كان اللقاء بين الرئيس السادات وبين الدكتور سعد قبل صدور قرارات سبتمبر بخمسة أيام، وقبل اغتيال الرئيس نفسه بخمسة وثلاثين يوما، ومن الواضح ان جيهان السادات قد استشعرت فى ذلك الوقت خطورة القرارات التى كان الرئيس عازما على اتخاذها، فأرادت ان يكون لقاء الدكتورسعد معه ، ثم لقاء المثقفين المصريين، ومن بعدهم العرب، محاولة فى سبيل تبصير الرئيس بخطورة ما هو مقبل عليه، لعل ذلك يخفف من حدة الضغوط التى كانت تحاصره داخليا وخارجيا.

ولكنه بالفعل كان قد اتخذ قراراته ولم يكن ينقصه إلا إعلاننا بها، ومن النصف الثانى للقاء، أى الساعات الثلاث التى استضافت فيها جيهان السادات الدكتور سعد على الغداء، سوف نفهم ان الرئيس كان محاطا بمسئولين، لا يقولون له الحقيقة، وانهم كانوا يكذبون عليه ويضعون أمامه أخبارا ومعلومات لا صلة لها بالواقع!!

على مائدة الغداء ، التى لم يحضرها الرئيس - اذ انشغل عنهم بممارسة رياضة المشى فى حديقة الاستراحة- راحت جيهان السادات تشكو من تأثير المعلومات الخاطئة التى يتعمد بعض الوزراء وضعها أمام الرئيس، فيتخذ قراراته بناء عليها، وهو لا يدرى ان بعض الذين ائتمنهم على المسئولية، ليسوا على مستواها.

وكانت الشكوى من وزيرين على وجه التحديد ، أولهما وزير الاقتصاد والتخطيط والتعاون الدولى، الذى كان السادات يصفه بأنه «معجزة» لا تقل عن «ايرهارد» وزير الاقتصاد الألمانى الذى أعاد بناء اقتصاد بلاده، بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت جيهان السادات تحس مما تسمعه من خبراء الاقتصاد، ان هناك أشياء عديدة مختلة ، وان هناك ما يشبه الإجماع على هذا الخلل، وكانت كلما باحت بإحساسها للرئيس راح يردد على أسماعها من جديد اعجابه بوزيره «المعجزة»!! وكان من فرط اعجابه به ، يضيف اليه مع كل تعديل وزارى .. وزارات أخرى!!

وكان تعليق الدكتور سعد - وهو صادق - ان الرئيس السادات لايحب سماع الأخبار المقبضة، وان هذا الوزير قد أدرك ذلك ،ولهذا فهو

حريص عل أن ينقل اليه أخبارا مفرحة، حتى ولو كانت غير صحيحة!!

والطريف ان جيهان السادات قد وافقته على هذا التحليل ، وهزت راسها موافقة ثم قالت: بين ايرهارد وترافولتا أشعر ان البلد سيغرق!

واذا عرفنا من سياق كلامها ان ايرهارد هو الدكتور عبدالرازق عبدالمجيد، الذى وصفت ممارساته مع السادات بأنها «دجل إعلامى» فمن هو يا ترى ترافولتا هذا، الذى لا نعرفه؟!

لقد كانت تلك هى المرة الأولى التى يسمع فيها الدكتور سعد عن وزير مصرى شاع وصفه بين الناس وقتها، بأنه ترافولتا المصرى تشبها بنجم السينما العالمى جون ترافلوتا!!

ولم تمض دقائق حتى فهم الدكتور سعد من جيهان السادات ان المقصود بـ ترافلوتا المصرى هو وزير الداخلية!!

ومضت تشرح مبررات التسمية الجديدة ، واسباب خلع هذا اللقب على الوزير اياه ..وتقول: إن وزير الداخلية قد نجح أيضا فى اكتساب ثقة الرئيس الى ان أصبح نائبا لرئيس الوزراء لشئون الخدمات وبهذه الصفة كان نواب مجلس الشعب يتكالبون عليه ليأخذوا توقيعه على طلبات والتماسات لدوائرهم الانتخابية ، وحدث ذات يوم ان اقتربت منه إحدى النائبات ، تطلب توقيعه على شئ يخص دائرتها، وكانت زوجة الوزير وهى أيضا نائبة فى مجلس الشعب على مقربة منهما ، واستاءت الزوجة من اقتراب النائبة الأخرى الى الوزير الى درجة الالتصاق، فنهرت الزوجة النائبة بشدة وطلبت منها أن تبتعد عنه ، وأن يكون عندها حياء وأدب!!

فاشتاطت النائبة ـ والكلام لجيهان السادات ـ غضبا من الزوجة وردت عليها بما معناه: هل تعتقد ان زوجها هو ترافولتا؟! فصارت مثلا!!

ولا أعرف لماذا أخفت جيهان السادات اسم الوزير، واسم زوجته ولماذا أخفاها مؤلف الكتاب أيضا.

إن الوزير هو النبوى اسماعيل وزير الداخلية، فى السنوات الأخيرة من حكم السادات ، وزوجته النائبة هى السيدة فايدة كامل وعندما سأل الدكتور سعد، جيهان السادات: وكيف يشترك ترافولتا مع ايرهارد فى اغراق مصر؟!

أجابت: إنه لا يكف عن الايحاء للرئيس بأن هناك مؤامرات ضده، ويطلب منه ان يأذن له بالقبض على الضالعين فيها.. ثم تقول: إن هذا الرجل نجح فى عزل الرئيس تماما عن كل المخلصين له ولمصر، وكان آخر من أوقع بينهم وبين الرئيس هو الأستاذ منصور حسن الذى هو انقى الوزراء واكثرهم حصافة واتزانا!!

وقد تكون السيدة جيهان على حق فى النصف الأول من العبارة، أقصد حديثها عما احدثه الوزير ترافولتا فى العلاقة بين الرئيس وبين المحيطين به بوجه عام. أما النصف الثانى الخاص بمنصور حسن ، فاعتقادى انها حكاية طويلة ، قد يرويها صاحبها فى يوم من الأيام، لأنها ربما لا تصلح للرواية اليوم، ولعلنا نذكر ان مجلة «الحوادث» اللبنانية خرجت ذات يوم، وعلى غلافها هذا العنوان: «الرجل القادم فى مصر» وكانت تشير الى منصور حسن، الذى كان قريبا جدا من الرئيس السادات وكان صعوده مثار ازعاج كثيرين، وانتهى الأمر اى صدور قرار بإلغاء قرار تعيينه وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية، وبأثر رجعى!! بمعنى اعتبار القرار بعد صدوره، والعمل به ، كأنه لم يكن!! وهى حكاية طويلة ، وتفاصيلها مثيرة، ولكن ليس هذا وقتها.

أما حديث السيدة جيهان عن الوزيرين، فهو شديد الخطورة، لأن معناه انهما قد ضللا الرئيس، وانهما قد اوقعاه فى فخاخ ما كان اغناه عنها، وما كان اغنانا نحن أيضا .. فلا نزال نعانى من آثار وتداعيات ذلك التضليل الى اليوم. ولا أعرف

ما هى عقوبة تضليل الرئيس وحجب الحقيقة عنه وماذا اذا كان هذان الوزيران قد عوقبا على ما فعلاه أم لا؟!

بالطبع كان ختام التضليل الذى مارسه الوزيران ، وغيرهما، على السادات هو اغتيال الرجل فى يوم مشهود ، وجر البلد الى حافة الهاوية، لولا ان الله كان لطيفا بنا.

واخطر ما فى كلام جيهان السادات ، انه يشير بوضوح ، الى ان رئيس الدوله ، يمكن ان يقع فريسه للمحيطين به، وانهم يمكن ان يضللوه ، بمعلومات غير صحيحة ، بحيث لا يرى ، فى النهاية الا ما يريدونه هم ان يراه.

عما حدث بين الوزيرين من ناحية وبين السادات من ناحية اخرى ، على حد روايه جيهان السادات ، دليل ساطع على هذا.

على كل حال لا ينسينا حديث «ايرهارد» ولا ترافولتا المصرى ان نقول ان الدكتور سعد قد خرج من ذلك اللقاء وهو شديد الاعجاب بشخصية جيهان السادات وقد وصفها بأنها خفيفة الظل، ساحرة، ذات ثقافة واسعة، سريعة البديهة، حاضرة النكتة، وهو انطباع يشاركه فيه كثيرون ممن جلسوا اليها، وفى مقدمتهم الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاءالدين .. ليس هذا فقط، وانما خرج د. سعد من عندها وهو يحدث نفسه بأن الأمريكيين على حق فى اعجابهم بها.

أما اعجاب الأمريكان بها ،فهو قصة أخرى طويله، تعود الى قبل ذلك بنحو عام، اى فى عام ٨٠ عندما قررت عدة هيئات أمريكية صديقة إقامة مهرجان ثقافى فى عدة مدن هناك ،كان شعاره «مصر اليوم» وكان البرنامج الذى جرى إعداده مسبقا يقضى بأن تفتتح السيدة جيهان السادات المهرجان فى كل مدينة أمريكية كبيرة ساهمت فيه، ثم يتبعها إلقاء محاضرات وعقد ندوات لعدد من المثقفين المصريين، كان من بينهم : د. سهير القلماوى ود. لويس عوض وصلاح عبدالصبور ود. سعد الدين إبراهيم ود. فرخندة حسن ود. محمد شعلان وغيرهم.

ويروى د. سعد انه لما جاء دوره ليحاضر فى لوس انجلوس، عرف ان السيدة جيهان قد سبقته الى هناك قبلها بأيام، وانها عندما غادرت المدينة قد تركت فيهم تأثيرا ساحرا، الى الدرجة التى ودعها معها رئيس المدينة وهو يبكى بالدموع!! وانها قد بادلت مودعيها أيضا بالدموع!!

وقد داعب الدكتور سعد جمهور الحاضرين وقال: الآن فهمت لماذا أصبحت مدينتكم - حيث توجد هوليوود - هى مدينة التمثيل فى العالم.

أما الغريب فى الأمر كله ، فهو ان هذه الدعابة الخفيفة، وغير المقصودة، قد وصلت حرم الرئيس فى القاهرة، فى ذات اليوم، وتطوع الذين أوصلوها بأن أضافوا اليها من عندهم ليجعلوا منها وشاية كاملة الأركان!! وكم كانت دهشة صاحب الدعابة، وهو يتلقى بعدها بعام ،عتاب السيدة جيهان عليها!!

وقد كانت هى أول من يعرف جيدا ان ما قيل فى حقها فى لوس انجلوس ليس إلا دعابة خفيفة، وان صاحبها لا يقصد من ورائها شيئا، وان انتقاداته لسياسات الرئيس السادات كانت على سبيل الاجتهاد الموضوعى الذى لا يمنعه من ان يتراجع عن رأى سبق وابداه، من قبل كما هو واضح كالشمس من عنوان كتابه الذى بين ايدينا.

ولابد أن أقول ان هذا هو الإصدار الثانى للكتاب وان إصداره الأول كان فى عام ٩١ وكان صداه يومها قويا وصاخبا، ربما لأننا لم نصل بعد الى الدرجة التى نتقبل فيها، أو نتفهم، أن يراجع مفكر نفسه، وان يرى فى آراء سابقة له رأيا جديدا فيعلنه بلا حرج، وربما ايضا لأن السادات كان ولايزال مثيرا للجدل، بعد رحيله، كما كان فى حياته.

وكان صدى الكتاب عند صدوره للمرة الأولى واسعا لدى كثيرين من

اصحاب الأسماء الكبيرة والمحترمة، ولعلى اذكر منهم :خالد محيى الدين ومحمود أمين العالم ود. يونان لبيب رزق ود. امانى قنديل ثم الدكتور عبدالمنعم سعيد الذى ابدى دهشته، فى مقال طويل، ألحقه الدكتور سعد بالكتاب فى طبعته الجديدة، من أن كثيرين ممن تناولوا كتاب «سنوات القلاقل» لهنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى فى بدايات عهد السادات، قد تعمدوا اغفال الأجزاء التى أعطى فيها السادات حقه، ووصفه فيها بأنه كان رجلا عظيما، لديه حكمة وشجاعة رجل الدولة وأحيانا رؤى نبى.

قال د. عبدالمنعم سعيد: ومن المؤكد ان الرئيس السادات كان لديه من الشفافية، والرؤى ما جعله يدرك التحولات التاريخية الكبرى التى أصبحت من شواهد التسعينات، قبل وقوعها بعقدين، ولم يكن ذلك لأنه كان لديه رؤى نبى أو أحلام ولى، وإنما لأنه ترجم ما رآه بالفعل من وهن وخوار فى الاتحاد السوفيتى السابق الى حقيقة سياسية، استخلص منها ما يكفى لخدمة الهدف الاستراتيجى لحركته.

على كل حال

لن يكون الدكتور سعد، آخر الذين يردون الاعتبار الى الزعيم الراحل أنور السادات، فسوف يتبعه كثيرون، ممن اقتربوا من الرجل، وممن لم يقتربوا على حد سواء.

ولن يضيره فى شئ ،أن يتأخر الذين يقرون بثاقب رؤيته، عشرين عاما، أو أربعين.. فالذى يصح فى النهاية هو - وحده - الصحيح.

سليمان جودة